لمحات من جهاد الامام على «ع»

وسيرة المقداد وأبى ذر وعمار

بقلم : الدكتور حسين أمين

تاريخنا صفحة مشرفة ، فى سطورها آيات واضحات من المواقف الرائعات التى تجلت بالاعمالى الخالدة والغايات الشريفة النبيلة من لدن الشخصيات الفذة الذين برزوا على مسرح التاريخ الاسلامى .

من شخصيات تاريخنا العظام ، ومن سادات امتنا الكرام ، رجل عرف بالشجاعة الكبيرة واشتهر بالسجايا الانسانية الطيبة ، من الرعيل الاول ومن بناة التاريخ المجيد ، ولا يزال اسمه مضربا للصفات الكريمة ومواقفه العظيمة رمزا للبطولة والتضحية والفداء ذلكم الصحابى الجليل والمؤمن الحر النبيل والامام الأمثل سيدنا علي بن ابى طالب ابن عبد المطلب بن هاشم (عليه السلام) .

ولد الامام على عليه السلام داخل البيت الحرام ، وشب فى بيت النبوة ، يرتشف من مناهل الرسالة معاينها السامية وينتهل من ينابيع النبوة المثل السامية والمبادىء الاسلامية النبيلة . قيل : انه «ع» أسلم فى السنة الثامنة من عمره فكان أول صبي اسلم فى الاسلام ، وتغلغلت المبادىء الاسلامية باصولها الحقة وافكارها الواضحة الى قلب (على) واستقرت فى وجدانه واصبحت جزءا مكينا من حياته وتفكيره ، ونما وترعرع ومبادىء القرآن تزيده نوراً على نور واخلاق الرسول (ص) وآدابه تضفى عليه «ع» سمواً على سموه ومنحه الله قوة فى العقل وقوة فى الجسم وقوة فى النفس ، فنشأ مثالا للكمال الانسانى ، وتزوج من ابنة الرسول الكريم فاطمة الزهراء عليها السلام ورزق منها الحسن والحسين وزينب سلام الله عليهم .

إن الدعوة الاسلامية ، هى دعوة نبيلة ، استهدفت انتشال الانسانية من براثن العبودية والجهل ومن مهاوى الضلال والطغيان فايدها واقتنع بمبادئها وآمن بمحتواها

كل ذى عقل سليم وقلب صادق رحيم وشعور انسانى نبيل ، والامام على بن ابى طالب (ع) وكان أول مؤمن فى الاسلام ، تلقف العلم من فـــم النبي الكريم اولا باول ، وتفتحت عينه فى منزل الوحى ، بين تراتيل القرآن الكريم فى بدء نزوله ، وصلاة المؤمنين فى اوائل اسلامهم ، وصاحب النبي الكريم فى داره — الشريفة وتحسس باحاسيسه ، فى افراحه واتراحه ، وتلمس خفقات قلوب المؤمنين القانيين الذين كانوا يتوسسون الخوف والخطر من اعداء الاسلام ، فنشأ نشأة طيبة ملؤها الإيـــمان بالله ورسوله والاخلاص للمبادى السامية والصمود أمام اعداء الذين بلاخوف او وجل ، والدعوة الى الحق والتضحية من اجل اعلاء كلمة الإسلام ونصرة المسلمين . . . نشأ على بن ابى طالب هذه النشأة الكريمة ، وجعلت من الامام على شخصية مثالية عاشت من اجل المثل العليا ودافعت من اجل احقاق الحق وضحت من اجل تبقى المبادىء السامية خالدة حية الى ابد الابدين ذلك لان عليا بحق المسلم الخالص على سجيته المثلى ، وان دين محمد لم يعرف قط اصدق اسلاما منه ولا اعمق نفاذاً فيه . كان مسلما حقا فى عبادته وفى عمله وعمله وعقله وفى اقدامه وتصميمه وفى حبه لاهله وبنى امته .

ولم اجد فى صفحات التاريخ الاسلاى ، انصع صفحة واطهر ذكراً وازكى عملا ، من صفحة الامام على بن ابى طالب (ع) ، صفحة مشرقة واضحة جلية ، باحرف من نور تشع بكل ذكر جليل وتفوح بكل ذكر جميل ، وتنطق بكل عمل خير نبيل . فكان (ع) والحق عنوانا لكل بطل شهم ابى ، ومثالا لكل انسان كريم ، وقدوة مؤمن صالح مستقيم ونهجا لكل عالم متبحر .

ولم نلمس فى صفحات التاريخ الاسلامى ، اكثر تضحية واشد اقداما واقوى عزيمة وتصميما فى الدفاع عن مبادىء الاسلام وجهاد المشركين والكافرين غير الامام على (ع) كثيرة وعيدة .

لقد نشب صراع عنيف بين قريش والمسلمين ، ولا يخفى ان المسلمين فى بادى أمرهم قلة تعد الاصابع ، كانوا ثلاثة محمد وخديجة وعلى ، ثم اسلم زيد بن حارثة ، ثم تعاقب الناس فرادى يبايعون النبي محمد (ص) باسلامهم ، حتى صاروا اربعين مسلما مؤمنـــا

يجتمعون خفية في دار الارقم بن الارقم (رض) وبعد ان احست قريش بدعوة محمد الاسلامية ، اعلنت عليه وعلى اصحابه حربا شديدة واضطهادا كبيرا ، انتهى بهجرته (عليه السلام) الى يثرب تاركا عليا في فراشه ليموه على قريش وليفوت عليهم الفرصة ومن ثم تصفية امره (ص) في مكة والالحاق به بعد فترة ، وكان منام الامام على مكان الرسول تضحية جليلة سجلها التاريخ للامام باحرف من نور وانها لعمري ان دلت انما تدل على قوة في الارادة وصلابة في العقيدة والمبدأ وطاعة عظيمة للرسول الكريم .

وهاجر الامام علي (ع) الى يثرب والتقى هناك باخوانه المسلمين واسهم من المؤمنين جهادهم من اجل اعلاء كلمة الله ، ولكن لعمري اي جهاد ذلك الذي خاضه سيدنا علي (ع) وانني اعود فاقول ، حقا انني لم اجد في اخبار التاريخ قديمة وحديثة ، نظيراً ومثيلا لمثل ذلك الجهاد العنيف والاقدام الرائع والتضحية العالية بالنفس والنفيس ، فكان الامام علي ابن ابي طالب (ع) سببا من اسباب النصر للمسلمين في معاركهم الخالدة ، فضرباته الصلدة وسيفه البتار واقدامه الجبار وصيحته الرهيبة ، بواعث الفزع ومنازل الهلع على كل مشرك اثيم وانخذال وهلاك لكل جبار عنيد ، فهذا هو الامام الفذ في معركة بدر الكبرى يصول بسيفه ، ينزل به على رؤوس الكفر ، وصرع في تلك المعركة بطل قريش الكبير وفارسها المرجى الوليد بن عتبة ؛ وهل عرفت سيدي القارىء ان عليا قضى على كثير من رؤوس الشرك في هذه المعركة الخالدة ، فحقا ان معركة بدر معركة الاسلام المجيدة هي سجل الشرف لبطلنا العظيم علي بن ابي طالب ، فقد قتل الامام في هذه المعركة التي استمرت سويعات من النهار اجل قتل كبار قريش المشركين المعتدين الآثمين منهم ـ العاص بن سعيد ـ بن العاص بن امية ، وعقبة بن ابي معيط ، وطعيمه بن عدي بن نوفل وعامر بن عبد الله ونوفل بن خويلد بن اسد وكان يعرف بشيطان قريش (وكان نوفل هذا قد قرن ابا بكر وطلحة بن عبد الله حين اسلما في حبل) وقتل الامام أيضاً النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة ، وعمير بن عثمان بن عمرو بن كعب ، وابا قيس بن الفاكة بن المغيرة ، وعبد الله ابن المنذر بن ابي رفاعة بن عابد وحاجب بن السائب ، وابا العاص ابن قيس بن عدي بن سعد واوس بن مغير بن لوذان بن سعد بن جمح ومعاوية بن عامر

انها ابطولة فريدة وشجاعة نادرة وجهاد عظيم وانها والحق لنصر من الله واعزاز من الخالق الكريم و وكان الامام فى احد مجاهدا عنيفا يصد الضربات عن الرسول الكريم وينزل بسيفه المبارك المنازل على روؤس المشركين، وفى الخندق حيث النصر المبين حققه الله العلى القدير على يد على امير المؤمنين، وانى لاعتبر انتصار الامام على غريمة عمرو بن عبد ود العامرى اساس النصر للاسلام ذلك لان هلاك هذا البطل الكبير الذي اعدته قريش لهذا اليوم كان له موقعه الكبير فى نفوس قريش وامات روحهم المعنوية وجعلهم فى حيرة واضطراب .

هذه هى بعض مواقف الامام موجزة مختصرة ، وان اردنا تعداد مواقفه (ع) فى الدفاع والجهاد من اجل رفع راية الاسلام لوقفنا ساعات طوال نذكر تلك السيرة العطرة والتى تعلق باريج البطولة وتفوح بزكى المآثر الخالدة .

ان بطولة الامام وشجاعته واقدامه ، على ما ارى نتيجة حتمية لثقته بنفسه واعتزازه بايمانه ابدا بنصرة الله عز وجل له فى كل نزال ، لانه يدافع عن الحق ورائده الحق ويسعى دوما لاعلاء كلمة الحق ، والحق يعلو ابدا ولا يعلى عليه .

والامام على (ع) على جانب عظيم من غزارة العلم ودرجة كبيرة من رجاحة العقل قال (ص) انا مدينة العلم وعلى بابها ، وكان خطيبا مفوها ذا بيان بديع واسلوب عربى اصيل .

والامام على من ازهد الصحابة واعفهم واشدهم فى تطبيق مبادىء العدالة الاسلامية واحرصهم على اموال الامة . .

والامام على يمثل الفكر الاسلامى اصدق تمثيل ، ويعكس الروحية الاسلامية فى اخلاصها وصدقها وانسانيتها بشكل واضح جلى .

فالامام على مؤمن مسلم حق الايمان وصدق الاسلام ، روى ابن حجر العسقلانى عن مسند احمد بن حنبل عن على قيل يارسول الله من تؤمر بعدك قال : ان تؤمروا ابا بكر تجدوه امينا زاهدا فى الدنيا راغبا فى الاخرة وان تؤمروا عمر تجدوه قويا امينا لا يخاف فى الله لومة لائم وان تؤمروا عليا وما اراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا ياخذ بكم الطريق المستقيم ، واخرج الترمذى باسناد قوى عن عمران بن حصين قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما تريدون من علي إن عليا مني وانا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي .

ان اشارة الرسول الكريم الى ولاية علي (ع) وردت في احاديث كثيرة ، وان هذه الولاية وقعت بالنص وهناك شهود من الصحابة في حقيقة وقوعها والنطق بها ولولا ان الرسول الذي لا ينطق عن الهوى يعلم حق العلم ان عليا له من الميزات والكفايات ما يؤهله لذلك المنصب ما نطق الرسول بولايته (ع) والنص على ذلك في اكثر من موقع وايراده في اكثر من حديث .

والرجل ، انصار ومؤيدون ، اعجبوا به ايما اعجاب وتأثروا باخلاقه السامية ، انها والحق لاخلاق محمد صلى الله عليه وآله وسلم ووجدوا فيه الانسان المؤمن الشجاع المحب للانسان والساعي الى الخير والمناضل ابدا من اجل احقاق الحق وتطبيق العدل ، ولكننا نلاحظ ان معظم انصاره ومؤيديه من المؤمنين القانتين والزهاد الناسكين ومن الفقراء المعدمين من اولئك الذين لوعتهم ايام الظلم والطغيان واثخنتهم بجراحها سياط اشراف قريش ، اولئك الذين احبوا محمداً وآمنوا بالاسلام دينا وطريقا ، ووجدوا في علي بن ابي طالب بعد وفاة الرسول (ص) البقية الخالدة من تراث محمد والشعلة الوضاءة التي تنير الطريق المستقيم لكل من يريد الهداية والحياة الشريفة النبيلة وراحة الضمير .

والذين ناصروا علي بن ابي طالب كثيرون ، جلهم من الصحابة الكبار ، من الرواد الاوائل الذين جاهدوا في سبيل الله من اجل ان تبقى راية الاسلام عالية خفاقة ومن اجل تثبيت الحق ومن اجل ان تسود العدالة في المجتمع الانساني ، اجل ان الذين ناصروا عليا جلهم من المسلمين الاولين من الذين وقفوا الى جانب الرسول العظيم وآمنوا بالله الواحد الاحد وآمنوا بالرسالة المحمدية واستقرت تلك المبادىء في نفوسهم وذابت في عروقهم ، فكانوا والحق الرعيل الاول لحملة الرسالة وكانوا والحق المشعل المنير لطريق الانسانية وكانوا والحق المثل الرائع في الثبات على المبدأ والدفاع عن مبادىء الدين الحنيف .

انهم جميعا انصار محمد ، تعلموا في مدرسة النبوة وانتهلوا من فم الرسول الكريم معاني الرسالة الخالدة . . . وقد وجد هؤلاء المؤمنون انهم آمنوا بالحق ورسالتهم

الدفاع عن الحق ، فالرسول محمد حق ، وموته حق وإن عليا وريثه حقاً فنصرته حق وحبه حق ، قال (ص) يا على لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق .

إن المؤمنين جميعاً هم انصار الامام على . وها انى انقب مصادر التاريخ ومراجعه واقلب أخباره ووقائعه ، واتدارس رجاله وأهله ، ابحث عن انصار الامام على واحبائه فاذا بى امام نخبة ، لعمرى أى نخبة إنها أحبت الله ورسوله وآمنت بالواحد الأحـــد وجاهدت من أجل اعلاء كلمة الحق ، وتزاحمت الاسماء امامى ، وتحيرت فى أيهم الأحب والاكثر نصرة وأيهم الأخلص والأشد صحبة،وعجزت عن المفاضلة لانهم جميعا أحبوا الامام حب العقيدة والدين ، حبا من قرارة النفس ومستقر الوجدان ، انهم مثال الصدق فى النصرة وعنوان الاخلاق فى الصحبة ورمز الوفاء فى المحبة ودليل الاركان فى اتباع الحق والدفاع عن الحق والاستشهاد من أجل الحق .

وانى اذ اقدم بعض النماذج من الشخصيات الفذة من تاريخنا المجيد من الذين سطروا سجلا حافلا بالاعمال الخالدة وقدموا دماءهم قرباناً من اجل ان تبقى راية الاسلام هى العليا ومن اجل ان تبقى الحياة للانسان كريمة شريفة ونبيلة .

من اولئك الانصار الكبار ، من الذين شهدت لهم المواقف الحرجة وقفات الشهامة والبطولة من المسلمين الاولين،المقدادبن الأسودالكندى وقد هاجر الهجرتين ، وكان اول فارس فى الاسلام فى معركة بدر الخالدة ، وهو أول سبعة من المسلمـــين اظهروا اسلامهم ، وقف فى معركة بدر ـــ يخاطب الرسول الكريم : يا رسول الله انا والله لا نقول لك كما قال قوم موسى : اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ولكننا نقاتل عن يمينك وعن يسارك وبين يديك ومن خلفك . وفى حديث صحيح، قال صلى الله عليه وآله : ان الله امرنى بحب اربعة وأخبرنى أنه يحبهم على والمقداد وابو ذر وسلمان ، ان المقداد ارتبط بعلى بروابط لا تنفصم ، رابطـــة الاخوة الاسلامية والسعى من أجل تحقيق مبادىء محمد وتلمس هذاالصحابى كل معانى الاخلاص لتلك المبادىء فى شخصية على وصار من أنصاره المخلصين والمدافعين عن حقه والمناصرين لآل بيته الطاهرين .

وبعد تعيين عثمان بن عفان خليفة المسلمين ، قام المقداد بن الاسود الكندي في المسجد فقال : ما رأيت مثل ما اوذى به اهل هذا البيت بعد نبيهم ، فقال له عبد الرحمن بن عوف وماأنت وذاك يا مقداد بن عمرو ؟ . فقال المقداد : اني والله لاحبهم بحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وان الحق معهم وفيهم يا عبد الرحمن ، أعجب من قريش وأنت تطولهم على الناس ، أهل هذا البيت قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعده من أيديهم ، أما وايم الله ياعبد الرحمن لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كمقتالي اياهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر .

أسلم المقداد وآمن بدين الإسلام وانتهج السبيل الذي رسمه محمد العظيم ولمس هذا الصحابي الجليل ما آلت اليه الامور من الانحرافات واستحواذ الطامعين على المناصب ورأى بأم عينيه كيف صارت الامور للذين لم تكن لهم المؤهلات والكفايات فأعلنها حربا على كل منحرف وضلول ، وكان يجد في شخصية علي ما هو مكين باعادة الامور الى نهجها السليم وتطبيق مبادى الحق والعدالة ، وظل مصاحبا الامام ، ملازما مجلسه الشريف ، حتى وافاه الاجل سنة ثلاث وثلاثين للهجرة ودفن في المدينة المنورة.

وهذا صاحب آخر من أصحاب الامام المؤمنين بحقه وعدله ، من الذين لازالت صورته حية في نفوس الاحرار الذين يتوقون ابداً إلى صفاء النفس ورضاء الوجدان ، انه طراز فريد من الحياة والعمل وطراز خاص من النهج والجهاد ، ذلك الرجل الذي قال فيه الرسول (ص) ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر ، وأبو ذر الزاهد المشهور جندي من جنادة من قبيلة بني غفار ، سمع بشروق شمس الاسلام في مكة فغادر عشيرته ودخل مكة ، وجاء المسجد يلتمس الرسول الكريم وهو لا يعرفه كره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل فاضطجع فرآه الامام علي(ع) فعرف انه غريب فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ثم احتمل قربته وزاده الى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يرى النبي (ص) حتى أمسى فعاد إلى مضجعه فمر به الامام علي فقال اما آن الرجل أن يعرف منزله فأقامه فذهب

به معه . . . وهكذا بدأت صحبة هذا الرجل فى المدينة والمسلمين بشخصية الامام على ابن ابى طالب حيث وجد فى شخصية الامام ، الكرم والخلق العربى الجميل كما وجد توافقا وانسجاما فى الروح والمعنى وفى القصد وخلوص النية .

وصار ابو ذر يقضى سراة يومه فى مسجد الرسول ، عاكفاً على العبادة متعطفا إلى الله تعالى ، معرضا عن زخرف الدنيا وزينتها ، زاهداً فيما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه ، وكان إذا جن الليل اوى إلى المسجد مع ناس من أصحاب الرسول(ص) لا منازل لهم وما لهم من مأوى غيره وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، يدعوهم اليه اذا تعشى فيعرفهم على اصحابه وتتعشى طائفة منهم معه ، وقد كان أبو ذر من هذه الطائفة ، وقد أراد الله به خيراً ففتح له قلبه وجعل فيه اليقين والصدق وجعل قلبه داعيا لما سلك فيه ، وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا ، وخليقته مستقيمة ، وجعل اذنه سميعة وعينه بصيرة فسمع من الرسول ووعى وتعلم وحفظ وحدث وروى فكان من أعظم المتحدثين وأصدقهم وحاكى الرسول فى زهده فكان من أوائل الزهاد وروادهم المخلصين .

وقد ارتبط أبو ذر بالامام على بروابط متينة لا تنفصم ، روابط قامت على حب الله وحب الرسول وحب الانسانية ، وجهاد من أجل اعلاء كلمة الحق وابتعاد عن الدنيا ومغرياتها والاستغلال وآفاته ، ومات الرسول الكريم وخرج أبو بكر وعمر إلى سقيفة بنى ساعدة وبقى الامام على والعباس وبعض بنى هاشم يشتغلون باعداد جهاز النبى وأحس العباس ان فى الامور شيئاً وان الناس يفكرون فيمن يخلف رسول الله فالتفت إلى على وقال له : أمدد يدك ابايعك ، فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا يختلف عليك اثنان فأجاب الامام على بثقة واطمئنان : أو يطمع يا عم فيها طامع غيرى ؟ فقال العباس : ستعلم .

وسمع ضرب على الباب بشدة فقال على : من ؟ فأجاب الطارق : ابو ذر فقال الامام على : ما هنالك ؟ قال أبو ذر : لقد بايع الناس لابي بكر . ففتح على الباب وقال : وكيف ؟ فحكى له أبو ذر وكيف اجتمع بعض الانصار والمهاجرين فى السقيفة وكيف

بايع عمر بن الخطاب أبا بكر . وصمت أبو ذر ، فطأطأ على (ع) رأسه ، والتفت اليه العباس وقال : اما انى أمرتكم فعصيتمونى ، فقال الامام على : وما العمل ؟ فقال أبوذر: لأجمعن المقداد وسلمان وعبادة بن الصامت وأبا الهيثم وحذيفة وعمار لنرى رأيا .

هؤلاء الستة من أوائل المسلمين الذين ساهموا فى بناء الاسس الرصينة فى مجدنا الاسلامى ومن الذين صاحبوا الرسول وآمنوا بالمبادىء الاسلامية وضحوا من أجل اعلاء كلمة الله ، هؤلاء الستة عرفوا ان عليا أحق بالأمر من غيره ، اجتمع هؤلاء الصحابة الاجلاء ليلا ، فى الفضاء المجاور المسجد فقال أبو ذر : ان عليا أحق الناس بالخلافة ، فعلينا ان نعيد الأمر شورى بين المهاجرين وان ننقض بيعة السقيفة ، فسأل احدهم ، وكيف ذلك ؟ .

فقال أبو ذر تزعم الانصار انهم المهاجرين أولى بهذا الأمر منهم الانصار ، لما كان محمد منهم فاعطوهم المقادة وسلموا اليهم الامارة ، فاذن نحتج عليهم بمثل ما احتجوا على الانصار فعلى أولى برسول الله حيا وميتا .

ودارت قداح الرأى بين الجميع ، وأخيراً اجمعوا على أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين .

وأرى ان هؤلاء الأنصار وغيرهم من كبار الصحابة لو نفذوا ذلك الأمر لنجح رأى أبى ذر ولأصبح على خليفة المسلمين ، ولكن الامام على بما عرف عنه من الخلق العظيم وخوفه من اضطرام الفتنة آثر على عدم تنفيذها وترك الأمر على جريانه .

واستمرت صحبة أبى ذر (رض) للامام على (ع) مدة طويلة حتى آلت الخلافة إلى عثمان بن عفان ، فسكت أبو ذر على مضض ؛ فهذه مشيئة الله وعلى لا يريد الفتنة ومكث أبو ذر فى المدينة فتلمس ميل عثمان إلى بنى أمية وتغلغل نفوذهم من مراكز الدولة واستحواذهم على السلطة وانقلاب الحكم فى عهده ملكا له مظاهر الملك من عظمة وشرف وتهافت على الدنيا ورأى كثيراً من الصحابة يتغيرون فالزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف اقتنوا الضياع والدور وابتنى سعد بن وقاص داره بالعقيق فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل أعلاها شرفات ، فقام أبو ذر لا يخشى خليفة ولا يهاب اميراً

يدعو الناس إلى الزهد ويهاجم عثمان . وفى يوم علم ان عثمان أعطى مروان ابن الحكم خمس خراج افريقيا والحارث بن العاص ثلثمائة الف درهم ، وزيد بن ثابت مائة الف درهم . فجلس فى المسجد وراح يتلوا : والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . وأبلغ مروان ابن الحكم ذلك إلى عثمان بن عفان ، فطلب عثمان مقابلة أبى ذر ، ودخل أبو ذر على عثمان ، فجابهه : يا أبا ذر أنت تعلم عما يبلغنى عنك ، وما بلغك عنى يا أمير المؤمنين ؟ بلغنى انك تحرض الناس على . وكيف ذلك ؟ قال عثمان : انك لا تقرأ فى المسجد إلا (والذين يكنزون الذهب والفضة ..) فأجابه أبو ذر : أينهانى عثمان عن قراءة كتاب الله؟ وعيب من ترك امر الله؟ فوالله لان أرضى الله بسخط عثمان أحب إلى وخير لى من أن أسخط الله برضاه . فبان الغضب على وجه عثمان ولكنه لم يدر بم يرد عليه فلزم الصمت وخرج أبو ذر وهو أكثر عزما على عيب من ترك أمر الله. وأخيراً لم يحتمل الخليفة عثمان وجود الصحابى الجليل والزاهد الكبير أبى ذر الغفارى والذى قال فى حقه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : ما اقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبى ذر ، صدق رسول الله ، فاصدر عثمان بن عفان أمراً بان يترك الصحابى الجليل المدينة ويلحق بالشام .

وما أن وصل الشام إلا ورأى عجبا ، رأى معاوية مطلق اليد فى أموال الخزينة ، وجهود الناس ورقاب المسلمين فازداد هذا المصلح الثائر سخطا وثورة ، ولما بنى معاوية قصره المعروف بالخضراء فى الشام بعث الى معاوية بقوله له : يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهى الخيانة وإن كانت من مالك فهى الاسراف .

ولم يرد معاوية على الصحابى الجليل ، ودخل أبو ذر المسجد فجلس ، وأقبل بعض نفر من المسلمين يشكون معاوية لأبى ذر ويخبرونه أنه انقضى الحول ولم يعطهم عطاءهم ، فاطرق ابو ذر قليلا ثم نهض فتطلع اليه الناس وقال :

لقد حدثت أعمال ما أعرفها ، والله ما هى فى كتاب الله ولا سنة نبيه ، والله إنى لأرى حقا يطفأ ، وباطلا يحيا ، وصادقا مكذبا ، وآثرة بغير تقى .

يامعشر الأغنياء واسوا الفقراء ويشير الى الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها

فى سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، يا كانز المال اعلم ان فى المال ثلاثة شركاء ، العدو لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت والوارث ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها وأنت ذميم ، وأنت الثالث ، إن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكونن ان الله عز وجل يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) يا كانز المال ، ألا تعلم انه إذا مات الانسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : من صدقة جارية أو علم ينتفع به . أو ولد صالح يدعو له ، قال صلى الله عليه وآله وسلم (إن ربي عرض على أن يجعل بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ، ولكن أجوع يوما وأشبع يوما ، فاما اليوم الذى أجوع فيه فاتضرع اليك وأدعوك ، وأما اليوم الذى أشبع فيه فاحمدك واثنى عليك) . اتخذتم ستور الحرير ونضائد الديباج ، وتألمتم الاضطجاع على الصوف الأزدى وكان رسول الله ينام على الحصير ، واختلف عليكم بالوان الطعام ، وكان رسول الله لا يشبع من خبز الشعير .

يا كانز المال ألا تعلم انه ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكا تلفا .

استمع الناس اليـــه فولع الفقراء به وأحاطوه برعايتهم واكرامهم وتقديرهم ، وأوجس الأغنياء منه خيفة فصاروا يوشون به ويوغرون السلطة عليه .

فأرسل معاوية فى طلب أبى ذر وعاتبه عتابا شديداً وحذره من عاقبة مسلكه هذا ، فأجابه أبو ذر بقلب ثابت ولسان طلق : والذى نفسى بيده لا أرجع حتى يبذل الأغنياء المعروف ، وخرج أبو ذر وأطرق معاوية وقلب وجهات الأمر فاهتدى الى ما يهتدى اليه الساسة المخادعون فى كل مكان وزمان ، فامر باحضار صرة بها ثلاثمائة دينار ونادى أحد خدمه وأمره أن يلحق بابى ذر وأن يعطيه الصرة ، فأسرع الخادم خلفه ولما لحق به فى الطريق قال له :

إن معاوية بعث اليك بهذه . فنظر أبو ذر الى اليد الممدودة بالصرة وإن كانت صلة فلا حاجة لى فيها . وظل الخادم واقفاً والصرة فى يده فقال أبو ذر : ردها عليه ، لا حاجة لى فيها .

وانطلق ابو ذر الى المسجد فنادى بالناس :

يا معشر الأغنياء أنفقوا مما أعطاكم الله . ولا تغرنكم الحياة الدنيا وأجعلوا فى أموالكم حقاً للسائل والمحروم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألهاكم التكاثر ، يقول ابن آدم مالى مالى ، وهل لك من مال إلا ما اكلت فافنيت ؟ أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت ؟ يا معشر الأغنياء لقد نهى الله عن الكنوز . . . الى أن قال : ان أموال الفيء من حقوق المسلمين، ولكن معاوية قد احتجنها ليصرفها على خدمه وحراسه . وابهته ، ونسى معاوية أنه لا يحمل له من مال الله إلا حلتان حلة للشتاء ، وحلة للصيف وما يحج به ويعتمر قوته وقوت أهله كرجل من قريش ، وقال ابو ذر : إن مال الفيء يجب أن يقسم على المسلمين . . وأصبحت الضياع والدور تقتنى ويصرف لتجميلها آلاف الدنانير ويترك المسلمون .

هذه الكلمات المطلقة من فم هذا الصحابى الكريم انها والله لتنطق بالحق ومن غير أبى ذر يقول هذا وهو الذى قال عن نفسه : أوصانى خليلى أن اقول الحق ولو كان مراً والا اخشى فى الله لومة لائم وانى أدعو دعاءه اللهم انى أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من البخل وأعوذ من أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر .

إن هذه الكلمات أفضت مضجع معاوية ، وراحت تلك الكلمات الثورية طريقها فى الدروب والبيوت والى المساجد والمجالس ، فكان هذا الصحابى الثائر ، أفاق الناس من سبات عميق وأعاد لهم ذكريات الايام الطيبة أيام الرسول العظيم وأيام الحكم الديمقراطى الذى استهدف تطبيق العدالة ونشر المساواة . . واستمر أبو ذر يهاجم الأغنياء ويطالب بمواساة الفقراء وتوزيع المال على المسلمين . . فطلب معاوية مقابلته فحضر ابو ذر قصره المنيف ، وامتنع الصحابى الجليل أن يشارك معاوية فى طعامه الذى حوى ما لذ وطاب ، وقال معاوية له : يا أبا ذر لقد اشتكى الأغنياء منك وقالوا انك تقلب ثير الفقراء عليهم.

فقال ابو ذر . . انى انهاهم عن الكنز . قال معاوية ولم؟ قال ابو ذر . . لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم) .

قال معاوية : ان هذه الآية نزلت فى أهل الكتاب .

فقال أبو ذر : بل فينا وفيهم .

فقال معاوية : إنى آمرك أن تكف ، فقال أبو ذر : والله لا ستمرن على دعوة الناس الى الزهد وعلى تحذيرهم الكنز ولأبشرن الكانزين بعذاب النار .

قال معاوية : خير لك أن تنتهى عما انت فيه . فقال أبو ذر : والله لاانتهى حتى توزع الأموال على الناس كافة ، فقال معاوية مهدداً : يا أبا ذر هذا فراق بينى وبينك ، فحاذر . فقال أبو ذر قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

وفى يوم الجمعة صعد معاوية المنبر يخطب الناس فقال : انما المال مالنا والفىء فيئنا فمن شئنا أعطيناه ومن منعناه؟ فقام اليه رجل من الحاضرين فقال — كلا — انما المال ما لنا والفىء فيئنا فمن حال بيننا وبينه حاكمناه الى بأسيفنا .

فأطرق معاوية ، وعلم انه مالقنه ذلك إلا أبو ذر ، فذهب رجل من أهل معاوية الى أبى ذر يهدده ويتوعده ويحذره فما قاله ذلك الرجل : لا توغر صدور الناس علينا ولكن من دعواك .

فأجابه أبو ذر : والله لا اكون حتى يوزع على جميع المسلمين .

فقال الرجل : والله انا نعلم؟ لحساب من تعمل والله إن لم تكفه لنصين عليك سوط عذاب .

فأجابه أبو ذر : والله لا اكف حتى ترجعوا الى كتاب الله .

فقال الرجل بدها ومتوسلا بوسائل الأغرا : تكلتك امك ، إن عليا لا يستطيع أن يجزيك أو يمنع عنك أذانا ، أما معاوية فأمواله كالبحر الزاخر وهى طوع بنانك .

فأجابه الصحابى الجليل ، لا حاجة بى الى أموالكم ، وانى لا أطمع إلا فى رضى ربى وما عند الله .

قال الرجل : لقد أعذر من أنذر ، انك تسير الى حتفك بظلفك .

فأجابه أبو ذر : الموت أحب إلى من الحياة .

هذا هو الصمود والثبات من أجل العقيدة والمبدأ ، صلابة الرأى ومضاء فى العزيمة تتجلى فريدة نادرة فى حياة هذا الزاهد .

واخيرا لقد أصدر الخليفة عثمان امره بأن ينقل ابو ذر الى المدينة على بعير عليه قتب يابس ومعه خمسة من الصقالبة يطيرون بالزاهد الشيخ المسن ولا يدعونه يستريح ، حتى تسلخت بواطن افخاذه وكاد ان يتلف واصابه كرب شديد فأطرق وقد ارتسم على محياه الالم وحز فى نفسه ان يلقى كل هذا البلاء لانه يدعو الى المعروف واتباع ما جاء به كتاب الله ، ثم تذكر هذا الصحابى الجليل يوم كان يسير مع النبي (ص) فى دروب يثرب وقد قال له الرسول : (يا ابا ذر انك رجل صالح وسيصيبك بلاء بعدى) فيسأل : فى الله فيجيب الرسول الكريم : فى الله، فيقول ابو ذر : اذاً مرحباً بأمر الله ، فامتلأ قلبه ثباتا واطمئنانا .

ودخل ابو ذر على عثمان ، وجرى بينهما كلام طويل ، كان ابو ذر كما عهدناه رجلا ثابت الجنان طلق اللسان قوى العزيمة لا يتراجع عن كلمة الحق فاصدر عثمان بن عفان بأن ينفى الصحابى الكبير الى الربذة بعد ان يشس باستمالة ابى ذر ، وامر ان لا يسمح لأحد بتوديعه فخاف بعض الناس من حقد الخليفة عليهم وتنكيل مروان بن الحكم بهم ، ولكن خمسة من كبار المسلمين ومن النجوم المتألقة فى دنيا الاسلام وقتذاك خرجوا الى توديع الرجل الشيخ ، الصحابى الكريم تقديراً لمواقفه واجلالا لمكانته ووفاء لصحبته اولئك الخمسة الامام على بن ابى طالب وعقيل بن ابى طالب والحسن والحسين وعمار بن ياسر ، وكان مروان بن الحكم رأس الفتنة ومصدر الشرور والمساوىء يشرف على عملية نفى هذا الصحابى الجليل ، فنفذ امر عثمان بمنع الناس عن تكليمه او توديعه وقد حاول منع الامام على ومن معه ، فنهره الامام على وطرده اذ بادره بالسوط وهتف يقول — تنح نحاك الله الى النار ، ومضى على واصحابه مع ابى ذر حتى بلغوا الربذة فنزلوا عن رواحلهم وجلسوا يتحدثون وحان وقت الوداع فنهض على واحس ابو ذر غضبه فى حلقه وضم عليا الى صدره ، فانهمر الدمع من عينيه وغمغم ، رحمكم الله اهل البيت اذا رايتك ابا الحسن وولديك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وكانت نهاية ابو ذر مؤلمة محزنة ذلك الرجل الذى تغلغلت فى عروقه مبادىء الاسلام السامية ، واستقرت فى قلبه حية يقظة ، ففي تلك الفلاة التي نفاه اليها

عثمان بن عفان بقى مع زوجته بعد وفاة أولاده اياما لا يأكلان شيئا ، فأصابه النحول الشديد وطفح يمسح العرق الذى ينضح رغم البرد الشديد ، ونظرت اليه زوجته واذا بعينيه قد انقلبتا فبكت ، قال - ما يبكيك ؟ فقالت مالى لا ابكى وأنت تموت فى فلاة من الأرض وليس عندى ثوب يسعنا كفنا لى ولا لك ، ولا بد لى من القيام بجهازك فاشفق الشيخ عليها وقال لها وقلبه يقطر اسى ، اذهبى فتبصرى الطريق فان رأيت أحد فدى الكساء على وجهى وضعينى على قارعة الطريق وقولى لأول ركب يمر بك : هذا أبو ذر صاحب رسول الله قد قضى نحبه ولقى ربه فأعينونى عليه .

فبينما هى ترسل نظرها الحزين فى الافق الغاشم رأت من بعيد قافلة قادمة فالاحت ثوبها فاقبلوا اليها وحكت لهم قصة ابى ذر الغفارى ، فجاؤا الى الشيخ المحتضر الذى قال لهم : والله ما كذبت ، ولو كان عندى ثوب يسعنى كفنا لى ولا موتى لم اكفن الا فى ثوب هو لى او لها ، وانى انشدكم الله ان لا يكفننى رجل منكم كان أميراً أو عريفا أو بريداً أو نقيبا . فنظر القوم بعضهم الى بعض حائرين اذ لم يكن فيهم أحد الا وقد فارق من ذلك شيئا الا فتى من الانصار قال له : انا اكفنك ياعم فى ردائى هذا الذى اشتريته بمال كسبته بعملى ، وفى ثوبين من غزل امى حاكتهما لى كاحرم فيهما . فقال : أنت الذى تكفننى فثوبك هو الثوب الطاهر الحلال . وكان أبو ذر قد اطمأن الى هذا القول وسكن فاغمض عينيه ولفظ أنفاسه الطاهرة فى هدوء وتسليم .

وهكذا مات ابو ذر بطل الاسلام الخالد وزاهده الكبير والثائر الذى اقض مضاجع الحكام المستبدين والطغاة الجشعين ، ذلك القلب النابض بالايمان والعقيدة السليمة ، وتلك النفس الابية التى ابت أن تستلين للبطش وتتهاون مع الباطل ، عاش ابو ذر يدافع عن الحق وعن اصول الاسلام؟ ونصيراً للامام على ولم ير احداً افضل وأحق منه .

رحم الله ابا ذر فقد كان مسلما بكل ما فى الاسلام من معانى الاخلاص والصدق والنزاهة والعفة والوفاء لحب الخير للانسانية .

قد اكون اطلت الحديث المختصر ، وانى سأختمه بالحديث بايجاز عن شخصية

اسلامية كبيرة عاشت حياتها من أجل رفعة الاسلام والدفاع عن كيانه وكان رضى الله عنه طرازا فريدا من الحيوية والنشاط ومثلا رائعا للتضحية والفداء وعنوانا صادقا للنصرة والوفاء كان من أشد انصار الامام واعمقهم حبا لآل البيت ، هو عمار بن ياسر ،ذلك الصحابى الجليل الذى نشأ فى بيت قام على الجهاد والفداء من أجل الدعوة ، قتل المشركون اباه وأخاه وانه أبن سمية المرأة المجاهدة المسلمة التى كانت تحث من اجل اعلاء كلمة الاسلام وجاهدت كلمة من أجل ان تبقى كلمة الله هى العليا وظلت هذه المرأة تجاهد وتكافح حتى مر بها يوما طاغية قريش الكبير أبو جهل ووجد هذا الطاغى ثبات سمية وصمودها ، تهزأ لأفعال قريش وتدعو الله عز وجل ان يهديهم طريق الصواب ، اجل رأى أبو جهل هذه المرأة المسلمة فتطاير الشرور البغيضتين وبان الحقد فى وجهه الكريه ونظر الى سمية شررا فرفع يده شلت يمينه وضرب سميه بحربة كانت معه فاستقرت تلك الحربة فى قلبها المؤمن وسال الدم الزكى دم المرأة المجاهدة المسلمة الصامدة وضوت ام عمار بن ياسر آفلة افول الثريا ، شهيد الفكر السامية شهيدةمن أجل ان يبقى الاسلام دينا للانسانية ومن أجل ان تبقى المبادى السامية مبادئا لكل حر كريم ، وكانت ام عمار أول شهيد فى الاسلام ضربت بثباتها وصمودها واستشهادها أروع مثل للمرأة المجاهدة من أجل الحق والعدالة .

فى هذا الوسط الرائع من التضحيات والمواقف العظيمة نشأ عمار، أخلص أصحاب الامام على وأصدقهم فى الدعوة إلى حق آل البيت ، إنه بحق الاصرار المنقطع النظير على مايراه حقا والاندفاع إلى أقصى الاندفاع والتضحية بالنفس فى سبيل المبدأ وعمار الصحابى الجليل عاش مع الامام إلى وقت مات فيه الكثير من أنصاره الميامين أمثال المقداد بن عمرو وأبو ذر وسلمان الفارسى وحذيفة بن اليمان وغيرهم من الاصحاب الذين ناصروا الامام ووقفوا الى جانبه ودعوا إلى تأييده والمطالبة بأحقيته وعدالة مطالبه .

ان المثل العربية والاسلامية جسدت فى أخلاق أبن ياسر وقد اكرمه الرسول الكريم فى أقواله بحقه وقال (ص) : «ان ابن سمية لم يخير بين أمرين الا اختار ارشدهما »

وقال (ص) بدور الحق مع عمار حيثما دار وبديع ، من أحد اخواننا الباحثين حين لقب عمار بن ياسر بأنه من أشد حراس الاسلام مراسا وأكثرهم عناداً فى المحافظة على مبادئه وسنته وان هذا يفسر لنا نصرته لعلى وموالاته الشديدة له ، فقد كان عمار الامام ، ملك المساكين وأمير المستضعفين الذى يحفظ للمسلمين الحقيقيين مكانتهم وكرامتهم ، ولهذا قال عمار فى على (ووهب لك حب المساكين ، فجعلك ترضى بهم أتباعا ويرضون بك اماما) .

إن مواقف عمار بن ياسر عديدة وكثيرة من أجل رفعة الاسلام ، وان مواقف عمار منذ نطق بالوحدانية كان إلى جانب سيدنا على ، ذلك لأنه وجد فى على الصورة الصحيحة والمثل الكامل للمسلم المؤمن صدقا وإخلاصا ونزاهة .

وانني سأختار موقفا واحداً من مواقفه المشرفة التى تعطى صورة حية ناطقة لنصرة هذا المسلم الكبير للحق ، فى سنة ٣٧ هـ وقعت موقعة صفين بين جيش الامام على (ع) ومرتزقة معاويه بن أبى سفيان وشارك فى المعركة عمار بن ياسر وكان قد نيف على التسعين ، وقد شوهد عمار بن ياسر يقاتل فى صفين كأنه شاب فى العشرين ، كان رحمه الله يحارب تجاه عمرو بن العاص وهو يرتجز : نحن ضربناكم على تنزيله واليوم نضربكم على تأويله وكان يقول وهو مشيرا إلى راية عمرو بن العاص : والله لقد قاتلت صاحب هذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثلاث مرات وهذه الرابعة وما هى بأبرهن .

ويقال انه استسقى قبل أن يقوم على الموقعة التى قتل فيها ، فجاؤه بشىء من لبن فلما رآه كبر وقال : وانبأنى رسول الله أن آخر زادى من الدنيا ضيح من لبن ثم شربه واندفع الى الموقعة وهو يدعو أصحابه من رائح الى الجنة ؟ الجنة تحت البوارق ، الماء مورود اليوم ، غدا القى الاحبة : محمداً وحزبه .

وكان عمار يشجع المقاتلين ويحثهم على القتال ، وشق الصفوف يقاتل ببسالة وشجاعة وظل هكذا حتى استشهد وانطفأت تلك الشعلة الوضاءة من الروحية الاسلامية الخالدة . أجل استشهد بطل الاسلام الكبير ونصير الامام المخلص ، الذى وهب حياته